◄ التحول نحو تبني هدف الدولة الفلسطينية عبّر عن انتقال الفلسطينيين من التفكير بالرغبات والعواطف إلى التفكير بموازين القوى والوقائع.

عن خيارات الفلسطينيين وفرضية الدولة المستقلة

بقلم: ماجد كيالي

شكّلت التداعيات الناجمة عن حرب اوكتوبر ١٩٧٣م نقطة تحول في الفكر السياسي الفلسطيني، من هدف التحرير إلى هدف الاستقلال، في دولة مستقلة؛ وقد عكس هذا التحول، في حينه، تماثل النظام الفلسطيني مع النظام العربي، الذي تبنّى هذه الفكرة في وقت مبكر، أي بعد حرب يونيو ١٩٦٧م، ضمن الشعار المعروف: "إزالة آثار العدوان".

لكن التحول نحو تبني هدف الدولة الفلسطينية عبّر أيضا عن انتقال الفلسطينيين من التفكير بالرغبات والعواطف إلى التفكير بموازين القوى والوقائع، ومن التفكير بالماضي إلى التفكير بالحاضر والمستقبل، وكانت هذه نقلة على غاية الأهمية، نسبة لشعب يغلّب العواطف والرموز في النظرية والممارسة السياسيين.

معلوم أن الفلسطينيين أطلقوا كفاحهم المعاصر، في منتصف الستينيات من القرن الماضي، تحت راية التحرير، أي تحرير فلسطين وإنهاء الوجود الصهيوني في المنطقة، بالكفاح المسلح.

وبغض النظر عن شرعية وعدالة هذا الهدف، فإن انتقال الحركة الوطنية الفلسطينية إلى هدف الاستقلال الوطني في دولة مستقلة، وجد شرعيته، هو الآخر، في مجالات عدة، لعل أهمها يكمن في التالي: أولاً، اقتناع الفلسطينيين باستحالة جسر الفجوة في موازين القوى، في ظل اختلال القوى لصالح إسرائيل؛ ثانياً، إدراك الفلسطينيين أن الواقع الدولي والإقليمي يشكل ضمانة لأمن إسرائيل واستمرار وجودها، فالصراع هنا ليس له علاقة بالفلسطينيين لوحدهم، لاسيما أن إسرائيل تتمتع بقوة مضافة بالنظر لانتمائها للغرب وعلاقاتها الاستراتيجية بالولايات المتحدة الأمريكية؛ ثالثاً، سعي الفلسطينيين للتحايل على العاملين السابقين، أي على موازين القوى والمعطيات الدولية والإقليمية المواتية لإسرائيل، والتعويض عنهما؛ وفي هذا الإطار شكّل هدف الدولة الفلسطينية مدخلا لإحراج إسرائيل، سياسيا وأخلاقيا، ولكسب تعاطف الرأي العام الدولي، كما لوضع الفلسطينيين على سكّة تمكنهم من ترميم أوضاعهم وبناء كيانهم السياسي.

بهذا المعنى فإن النقلة السياسية الفلسطينية الحاصلة، التي تتضمن التنازل عن جزء من الوطن التاريخي، كانت مجرد نقلة اضطرارية، وهذا هو معنى الجدل بشأن التمييز بين الاعتراف بوجود إسرائيل وبين الاعتراف بحقها في الوجود. وبمعنى آخر فإن اختلاف موازين القوى والظروف ما كان سيضطر الفلسطينيون إلى هذه النقلة، برغم من حاجتهم إلى بلورة مفهوم التحرير في علاقته بالآخر.

على أية حال فإن انتقال الفلسطينيين إلى حل الدولة المستقلة على ٢٢ بالمئة من أرض وطنهم التاريخي، والذي جرى إقراره بصورته الأولية في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في العام ١٩٧٤م، لم يسهّل عليهم، فإسرائيل بدت غير مستعدة وغير ناضجة بعد للتعامل مع هذه المبادرة التاريخية الفلسطينية.

والواقع فإن هذه المبادرة ساهمت فقط في تعزيز التعاطف مع الفلسطينيين على الصعيد الدولي، الرسمي والشعبي، وأسهمت في إبراز وتشريع كيانهم السياسي، المتمثل بمنظمة التحرير، كما لعبت دورا كبيرا في إثارة الجدل الداخلي في إسرائيل بشأن موضوعات التسوية.

المهم أن حل الدولة الفلسطينية، برغم كل التنازلات المتضمنة فيه، لم يوضع عمليا على رأس الأجندة السياسية: الإسرائيلية والدولية والإقليمية، إلا مع انطلاق عملية التسوية من مؤتمر مدريد (أواخر العام ١٩٩١م)، وعلى خلفية التداعيات المحلية والإقليمية والدولية، المتمثلة في الجوانب التالية:

● أولاً: الانتفاضة الفلسطينية الكبرى (١٩٨٧-١٩٩٣م) وحال الجدل التي خلقتها في المجتمع الإسرائيلي بشأن مستقبل الأراضي المحتلة وجدوى السيطرة على شعب آخر، وعلاقة ذلك بضمان الحفاظ على الطبيعة اليهودية لدولة إسرائيل ونظامها الديمقراطي وصورتها الدولية.

● ثانياً: حال التفكك التي دبّت في النظام العربي، على خلفية التداعيات الناجمة عن حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١م)، والتي أسهمت في انكفاء البعد العربي في الصراع ضد إسرائيل.

● ثالثاً: هيمنة الولايات المتحدة كقطب أوحد على النظام الدولي، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي (السابق)، وهي التي سعت إلى ترسيخ مكانتها هذه عبر محاولتها السيطرة على التطورات السياسية والاقتصادية والأمنية في الشرق الأوسط، الأمر الذي دفعها لإطلاق عملية التسوية. وهكذا باتت هذه العملية جزءا من محاولات الولايات المتحدة إعادة هيكلة المنطقة الشرق أوسطية.

بعد ذلك جاءت اتفاقية أوسلو (١٩٩٣م) لتنقل الصراع على الدولة الفلسطينية إلى حيز الصراع على ماهية هذه الدولة، حدودها طبيعتها علاقاتها الثمن المطلوب مقابل موافقة إسرائيل على قيامها. وقد شغلت هذه العملية الصراعية الحقبة من العام ١٩٩٣م حتى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في أواخر العام ٢٠٠٠م.

وقد بينت هذه الحقبة أن إسرائيل لن تسلم بسهولة بإقامة دولة للفلسطينيين لأسباب عدة، منها:

١- عدم وجود إجماع إسرائيلي على هذه القضية، بين الأطياف السياسية الإسرائيلية.

٢- غياب أو ضعف الضغط الدولي والإقليمي المناسب على إسرائيل، الذي لم يصل، ولا مرة، إلى الحد الذي يضطرها للانسحاب من الأراضي العربية المحتلة.

٣- سعي إسرائيل للتملص من استحقاقات عملية التسوية مع محاولاتها الدؤوبة لفرض الاحتلال كأمر واقع، عبر تعزيز الأنشطة الاستيطانية وبناء الجدار الفاصل وتقطيع أوصال الأراضي الفلسطينية وتوثيق ارتباطاتها واعتماديتها على إسرائيل.

٤- ممانعة الفلسطينيين لإبداء أي استعداد للتجاوب مع المطالب الإسرائيلية المتعلقة بإبداء تنازلات في مواضيع أخرى مثل القدس واللاجئين، مقابل الدولة؛ وهو ما وضح في رفض الرئيس الراحل ياسر عرفات للإملاءات الإسرائيلية في مفاوضات كامب ديفيد٢ (يوليو ٢٠٠٠م).

لكن الأوضاع خلال السنوات الماضية فرضت على إسرائيل تغيير شكل تكيفها مع عملية التسوية، ومع مطلب الدولة الفلسطينية، بدفع من التطورات التي خلقتها الانتفاضة في المجتمع الإسرائيلي (أمنيا وسياسيا وأخلاقيا وديمغرافيا)، ناهيك عن تأثيرات الانتفاضة على الصعيد الدولي، التي أظهرت إسرائيل على حقيقتها كدولة عنصرية استعمارية تسيطر على شعب أخر بالقوة، هذا أولا؛ وثانيا، بدفع من المتغيرات الدولية الحاصلة (بعد حدث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م)، لاسيما لجهة سعي الولايات المتحدة لتغيير صورتها في المنطقة وتعزيز مكانتها فيها، في إطار الحرب الدولية على الإرهاب وادعائها السعي لنشر الديمقراطية؛ وفي هذا الإطار تم أصدر مجلس الأمن الدولي القرار ١٣٩٧ (مارس٢٠٠٢م) ورؤية الرئيس بوش بشأن الدولة الفلسطينية (يونيو ٢٠٠٢م)، ثم خطة خريطة الطريق (أواخر العام ٢٠٠٣م).

هكذا سعت إسرائيل، في ظل حكومة شارون اليمينية المتطرفة للالتفاف على الدولة الفلسطينية (وعلى خريطة الطريق) بطرح مشروع الانسحاب أحادي الجانب من قطاع غزة (٢٠٠٤م)، بحجة عدم وجود شريك فلسطيني للتسوية (!) في محاولة منها لتجنب الضغط الدولي، والالتفاف على استحقاق الدولة الفلسطينية وتحجيمه وتبهيته، وأيضا لتحسين صورتها على الصعيد الدولي.

مشكلة الفلسطينيين هنا أنهم برغم قوتهم، بمعنى قوة الإرادة والحق والعدالة، إلا أنهم الطرف الأضعف في المعادلة السياسية القائمة، في مواجهة الفاعلين الآخرين: إسرائيل والولايات المتحدة والنظام الإقليمي.

هكذا فإن فكرة الدولة الفلسطينية (رغم بعض المآخذ عليها)، تواجه إشكاليات وتحويرات وتحديات كبيرة، إذ ربما يجد الفلسطينيون أنفسهم، عاجلا أم آجلا، أمام واقع دويلة فلسطينية في قطاع غزة مع شكل من أشكال الإدارة الفلسطينية في الضفة الغربية، أو ربما أمام حالة من فرض الأمر الواقع، الذي يعني تأبيد الاحتلال والاستيطان، مع أشكال من الحكم الذاتي.

وإزاء هذا الوضع فإن الفلسطينيين معنيون بمراجعة فكرة الدولة الفلسطينية، من أساسها، طالما أنها باتت متعذرة وطالما أن إسرائيل تعمل على تحجيمها وتبهيتها، ما يضعهم في مواجهة واحد من خيارين استراتيجيين، أولهما يتمثل بالتركيز في هدف الدولة الفلسطينية، باعتباره مشروعا نضاليا مستمرا، وثانيهما، يتمثل بالإقلاع عن هذه الفكرة لصالح خيارات سياسية أخرى، من مثل التحول من هدف الانفصال والاستقلال في دولة مستقلة، نحو هدف التعايش والاندماج والمساواة في دولة ثنائية القومية، أو دولة لمواطنيها.

وعلى كل فإن الأشهر القليلة القادمة ربما تشهد تجاذبات وتحولات سياسية عميقة على خلفية الانسحاب الإسرائيلي المزمع من قطاع غزة، والتوجهات الأمريكية الجديدة في المنطقة، والتحولات الإقليمية، وأيضا على خلفية التغيرات في النظام السياسي الفلسطيني.

آفاق

فضل النقيب

حكايات يومية مع باصات النقل العام

محمد عبده مهدي

حكايتنا مع باصات النقل العام حكايات لا تنتهي ومواقفها لا تنسى تفرضها علينا زحمة المواصلات وسباق المواعيد،خاصة مواعيد التوقيع على حوافظ الدوام.. وتأتي البداية من لحظة الوقوف على المحطة،تخيلوا معي جولة مثل جولة الصياح في الساعة١٢ ظهراً والجميع يعرف شمس هذه الأيام...

نصف ساعة تقف في المحطة في انتظار الباص... الكل منتظر وصوله،وبعد طول عناء وتعب يصل الباص،يشاهدنا السائق ولا يقف رغم أن الباص فاض،ولكنه يريد أن يلحق بطلاب الجامعة،تنهال عليه الشتائم واللعنات ولا يهتم ويستمر في انطلاقه.

نضطر للانتظار مرة أخرى حتى يأتي باص آخر،ولا أحتاج لشرح مدى غليان الدم والأعصاب مع حرارة الشمس.

يصل الباص الآخر،مزدحماً جداً بالركاب ولكن سائقه شهم،نتهافت عليه عندما يقف،يحاول كل منا أن يبحث عن موضع قدم على السلم،وتفضل تزاحم لحد ما تبعد عن فتحة الباب قليلاً كي لا تسقط خارج الباص..

تصبح في عنق الزجاجة ولكنك مضطر ومستعجل ولابد من أن ترحم نفسك من حرارة الشمس وتتمنى ألا يقف الباص في أي محطة أخرى،فالباص لا يتحمل وتنسى ما حدث قبل قليل من غليان الدم عندما لم يقف سائق الباص الأول من شدة الغيظ.

ويأتي المحاسب يزاحم،يدهس رجل هذا ويدق هذا بيده،ويصيح على ذاك وعذره أنه محاسب الباص.

وأجمل ورطه حينما تعطي له ورقة مالية فئة المائة أو ما فوقها ولا يجد فكه.

تنتظر في قلق لا تدري متى يعطي لك المبلغ المتبقي عنده خصوصاً لو كنت قريباً من محطة نزولك والمحاسب عادي عنده يمتر الباص رايح جاي بدون أن يكلمك،رغم حصوله على فكه إلا أنه مطنش.

ولا يتذكر إلا إذا ذكرته،وإذا ذكرته يرد بشكل صياح يؤكد بأنه مش هارب.

وإذا سلمك باقي المبلغ لابد من خصم اقلها خمسة ريالات لعدم وجود الخمسات.

يتوقف الباص في إحدى المحطات مما يجعل جميع الركاب في زعيق وصياح وتعليقات بسبب عدم وجود موضع قدم واحد يستطيع أن يقف فيه راكب واحد.

يسير السائق وهو في غيظ شديد من هؤلاء الركاب،ولكن فرحة الركاب لا تتم فهاهي إشارات المرور،لقد بدأنا في دخول أول الجولات جولة سبأ،وما أدراك ما جولة سبأ عند الظهر.

الجولات لها قصص أخرى من أول وصول موكب رئاسي حتى سيارة الإسعاف.

تأخذ لها من الوقت عشر دقائق إذا ربنا يسر حركة المرور.

وفي أثناء هذه الوقفة احرص على أشيائك خصوصاً جوالك،فهذه الأيام سرقة أجهزة السيار أشهر من نار على علم،إذا يجب أن تقف مستيقظا تماماً ولا تسترخي من طول الوقفة وإلا ضاعت أشياؤك.

أنا شخصياً رأيت اكثر من حالة حوادث سرقة أجهزة سيار منها في المطاعم ومنها في الباصات.

وللسرقة في الباص مجموعة،منها في السلم،ومنها في الوسط،ومنها في الأخير،وتأتي مشاكل الاختلاف على فتح النوافذ،ومشاكل التدخين،ومشاكل التحرش بالفتيات،ومشاكل المضاربة والمعارك على اختلاف الأسباب لتجعل منك رجلاً يجب أن تعتمد على نفسك وذلك بالنزول من الباص وإكمال مشوارك سيراً على الأقدام من جولة الصياح إلى منزلك حتى وإن كان في السنينه.

على الهامش

أجمل فائدة من باصات النقل العام هي حمى السباق الصباحي بين سائقي الباصات.. فمن خلالها أستطيع اللحاق بحافظة الدوام والتوقيع حتى لو صحيت من النوم متأخراً.

صحافة حرة.. وأقلام ممتنعة !!

نزار خضير العبادي

حين يغيب عن ذهن المرء استذكار الجدوى، فإن جهده ما يلبث أن يتبدد هباءً، وما أسرع ما يجد نفسه قد غاص في الخطأ، وتوغلت أقدامه في مأزقه.. ونحن في المؤسسة الإعلامية حين نغفل عن وضع قراءة جدوى لكل نتاجاتنا الفكرية قبل تسويقها للقارئ فلا شك أننا سنكون قد ارتكبنا خطأ فادحاً ليس الزمان بشافعه بعد حين فما كل الأخطاء تغتفر.

فالصحافة – مهما أطلقت لها الحكومات من حريات يبقى وازعها الوحيد الذي يحرك أقلامها على الورق هو صحوة الضمير.. فليس للعمل الصحفي من حياة بغير نية نبيلة وخلق فضيلة وغايات شريفة، تصنع مجد القلم، وتبعث رغبة الاستزادة في الخلق والإبداع. ومن هنا تكتسب الصحف قيما تسويقية متباينة طبقا لاختلاف العطاءات الإنتاجية لكل منها.

إذن يصبح في ضوء تلك المعايير دور الصحافة في المجتمع محفوفاً بالكثير من الضوابط الأخلاقية والإنسانية التي تضفي عليه صفة الواجب الوطني المقدس.. والمهمة التي لا سبيل لحصر مساحاتها في إطار تعريفاتها التقليدية بالصيغ النقلية للأخبار والأحداث –خاصة– بعد التطور التكنولوجي الهائل في وسائل الإعلام. وهو أمر كان ينبغي أن تترجم مفرداته الساحة اليمنية منذ سنوات بعد أن استبقت غيرها في الحريات الصحافية، وصارت المطبوعات تغطي مساحة عريضة من الأكشاك والأرصفة. ولكن.. ألا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا يوماً: إلى أي مدى كانت صحفنا تلامس حاجات الجماهير، وتواكب ضرورات البناء التنموي للمجتمع، وتلبي برامج الدولة التعبوية لحالة التحول والإعداد التأهيلي لمعطيات العصر..؟!

حتماً أن الواقع سيصدمنا بالكثير جداً من الآليات الجامدة التي تعجز عن التفاعل مع غايات الوسيلة الإعلامية.. فكثيرة هي الصحف التي تنسخ الصيغ الخبرية عن سابقاتها كما لو كان ذلك فرضاً يتوجب فعله.. وكثيرة هي الصحف التي لا هم لها غير ما يدور من جدل على فلك صراعاتها الحزبية، وخلافاتها السياسية حتى لم يعد يجد الفرد فيما تنشره سوى كلمة سر العبور إلى لغة التهكم والقذف، وإلقاء تبعية الفشل على هذه الجهة أو تلك.

إن ذلك الاستيعاب المحدود للغاية لمسألة حرية الكلمة والرأي هو في حقيقته انعكاس للطبيعة التي تنتظم بها الضوابط السلوكية للعمل الإعلامي في مخيلة الفرد (الصحفي) الذي بات ينقل الصحيفة إلى غير موضعها المرسوم لها في أدبيات العمل الديمقراطي.. وبهذا فإنه يكون قد أقدم على تعطيل مهمة المؤسسة الإعلامية من خلال امتناعه عن تخصيص جهد قلمه لمهمة تأهيل ثقافة المجتمع وتطوير مهارات أبنائه، وتوجيههم تعبوياً نحو غايات إنسانية نبيلة وسامية تتعدى نطاق النيل من أجهزة الحكومة أو مؤسساتها أو التطاول على رموزها.. فمن المؤكد أن يضيع الجهد ويتبدد المال دون بلوغ الأهداف المرجوة من نتاجات الأقلام الممتنعة.

فالفرد العادي في أي مجتمع لا يمكن تحويله إلى أداة تغييرية مؤثرة ما لم يسبق ذلك مرحلة تجهيز بأدوات التغيير أو التحول– كما هو الحال مع الجندي بالضبط.. ومن وجهة نظري أن السعي لتجهيز الفرد بعدته تتحمل الوسائل الإعلامية الجزء الكبير من مسئولياته باعتبارها الأكثر قدرة على التغلغل في الوسط الاجتماعي ومداومة التواصل اليومي مع عناصره، وإغناء ثقافته بشتى ألوان المعارف والآداب والممارسات وكل ما من شأنه تطوير شخصيته وإنماء سلوكه وتعزيز ثقته بنفسه ومهاراته الشخصية فضلاً عن رفع معنويات العمل والإقدام في ذاته.

ربما كان ذلك الأسلوب هو النهج الأكثر منطقاً فيما ينبغي أن تؤديه الصحافة المحلية من دور مرحلي.. ومع هذا فإنه ليس الدور الوحيد، فقد تضطر الاصدارات الصحفية أحياناً إلى صب مجمل نتاجاتها الفكرية في وعاء واحد مع السلطة السياسية بقصد التعبئة الوطنية الشاملة لهدف موحد يخدم مصالح الوطن العليا، كأن يكون ذلك عند تعرض البلد لتهديدات خارجية، أو عند إقرار القيادة السياسية لمشروع وطني جماهيري كبير– مثل محو الأمية أو مواجهة آثار كارثة– وهي جميعاً قضايا تتحمل الاصدارات الصحفية جزءاً من مسئوليات إنجاحها.. لكن على ما يبدو أن الكثير من الأقلام ما زالت تقف بعيداً جداً عن هذا الفهم.. بل أحياناً تحاول استغلال ظرف الحدث لتحقيق مكاسب ضيقة ومؤقتة، من غير اكتراث لما قد يلحق بالوطن من جرائها.

لا شك أن جوانب القصور في آليات العمل الصحفي شاملة– وإن تباينت المستويات– لكن المسألة التي تستوجب لفت عناية لها هي أن العالم يشهد ثورة لا مثيل لها في الصحافة الالكترونية، وفي إعلام الفضائيات وحتى في النقل الأخباري العاجل على أجهزة الهواتف المحمولة (الموبايل).. وما لم نحاول الحفاظ على قدر معقول من الجودة النوعية للصحافة المكتوبة والتوجيه الدقيق لساراتها الفكرية، فإن الأمر يعني كساداً غير مسبوق، وبطالة من الصحفيين بعدد هائل من الأقلام الممتنعة التي لن يسعفها الوقت لتصحيح أخطائها أو مزاحمة غيرها في عالم الصحافة.

الرئيس.. رجل الوفاء والعطاء

عبدالله البحري

■.. في زمن قلّ فيه الرجال لمع نجم في سمائنا.. إنه رجل من قليل من الرجال البواسل، وفارس مقدام كان – ولا يزال – لا يخشى في الله لومة لائم، يقول ويفعل كحقيقة دأب على أن يكون الأقرب الى قلوبنا جميعاً ومعبراً عن مشاعرنا وأحاسيسنا يعرفنا ونعرفه حق المعرفة، خاصة وأنه عوّدنا على الوفاء وحب الوطن والاستبسال من أجل حفظ كرامة التربة الغالية والعزم على نيل المكاسب العظيمة وصونها، لقد عهدناه مخلصاً وفياً جسوراً حكيماً واثب الخطوات على طريق النضال والعطاء والسخاء والفداء، باعتبار نهجه الصائب والواضح قد أوصلنا وعبر طريق البناء والتنمية والتطور الى أوج النهضة المباركة.. إنه رجل المهمات الصعبة ومخرج اليمن وأهله من ديجور وحلكة الظلمة البائسة الى النور واشعاع العهد القائم على الحرية والتعددية والممارسات الديمقراطية والوحدة الوطنية حتى أصبحنا جميعاً نحبه – صغاراً وكباراً – فهو صانع أمجادنا وبطلنا الهمام الذي جعل اليمن كبيرة في عيونهم..!

انه راعي القافلة التي تسير نحو الطريق الطويل ودونما توقف رمزنا المناضل/ علي عبدالله صالح – رئيس الجمهورية الذي اختزناه من بين صفوفنا باعتباره دليلنا وفي مقدمة مسيرتنا ذات البشائر والانجازات العملاقة ولا سبيل لنا سوى الالتفاف ومباركة كل خطواته، ففي عهده صارت اليمن علماً وأهلها رافعو رايتها الخفاقة وبكل فخر وعزة رغم حقد الحاقدين..!

انها لحظة تأمل وامعان لما تم قطعه من مسافات طوال وعبر كفاح ونضال بطله زعيمنا وقائدنا ومعه كل شرفاء الوطن وصولاً الى المرامي والأهداف الجمّة وذات الطموحات الآخذة بنا نحو استشراف المستقبل الأفضل والأجمل.

إن بناء جسر المحبة والترابط القوي فيما بين الأمة وزعيمها قد نسج نوعاً من الاعجاز العظيم والتناغم المطلق الذي مثله عنوان عريض وبارز اسمه الوطن الكبير وتنميته المستدامة على أرض زاخرة باليمن والبركات، وهنا لابد من الوقوف وبإكبار وشموخ أمام كل ما تحقق وسيتحقق بفضل الله تعالى ومن ثم بفضل هذا الرجل المقدام فخامة الأخ الرئيس/ علي عبدالله صالح.

امتحانات الثانوية العامة.. وعوامل الاخفاق..!

سامي الحداد

يعيش كثير من الآباء والأمهات خلال هذه الأيام حالة من القلق والخوف والتوجس على فلذات أكبادهم.. وهم يخوضون امتحانات المرحلة الثانوية بوجه أخص وذلك نظراً لما لهذه المرحلة الانتقالية من أهمية سيتحدد على إثرها مستقبل أولادهم سلباً وإيجاباً..

وتبدأ فواعل الخوف والقلق منذ اليوم الأول للامتحانات لتزداد حدّة بعدها.. فتبلغ الذروة قبيل وأثناء إعلان النتائج.. أما بالنجاح وبمعدل يفوق الـ٧٠٪ باعتبار هذه النسبة هي نسبة النجاح الحقيقية والتي سيتمكن من خلالها الطالب ولوج أبواب الجامعة، وسيبدأ بصياغة مسار حياته المستقبلية.. أو ما دونها أي ما بين الـ٥٠٪ والـ٧٠٪ فيتحدد أمامه خياران إما القبول بالنسبة الضئيلة والمهم أنه حصل على الثانوية العامة وإن كانت غير ذات جدوى إن لم تكن تؤهله لمواصلة مسار حياته التعليمية والأكاديمية أو معاودة المحاولة من جديد.. للحصول على نسبة أعلى أي نسبة النجاح الـ ٧٠٪ وما فوق..

وهذا بالطبع أمر صعب نظراً لما يتطلبه الطالب لكي يعاود الكرّة مرة أخرى من ثقة بالذات تؤهله لخوض أهم مرحلة تعليمية وعليها يتحدد مستقبله صعوداً أو هبوطاً..

● وبهذا السياق وعلى إثر إعلان امتحانات الثانوية العامة.. يبدأ اللغط وتبدأ لغة التبرير لدى الطلاب الذين حصلوا على معدلات أقل.. أو منيوا بالاخفاق.. بأن الكثير ممن حصلوا على معدلات مرتفعة ترجع اسبابها الى وجود مناخ تمكنوا خلاله من القيام بعملية الغش، أما هم فقد حوصروا وأوثقت السلاسل والأغلال في أيديهم ولم يتمكنوا من إلتقاط اجابة من هنا أو هناك.. ليصبح معهما الغش لديهم عبارة عن الشماعة التي ترمى عليها كل الأثواب الجديدة والبالية والمتسخة وبدون أن تنحني أو تنوخ..

● وهنا ولكي لا يضحى «الغش» هو «خصالة بن علوان» لدى من لم يحالفهم النجاح بالحصول على نسبة الـ٧٠٪ وما فوق.. كان لابد من القول أن الغش ماهو إلا ظاهرة عرضية.. لاتمثل سبباً أو نتيجة إلا بشكل نسبي وبقدر ضئيل ومحدود ونتيجة لما آل إليه وضع أولئك الطلاب، فهناك مجموعة من العوامل التي تمثل – من وجهة نظري – أسباباً حقيقية تقف وراء الفشل أو الاخفاق الذي قد يمنون به في امتحانات الثانوية العامة سنوياً ويمكن إيجازها على النحو الآتي:

– الأمر الأول: إن أي طالب يروم لتحقيق أحلامه وطموحاته المستقبلية لابد وأن يهيء لها منذ الأيام الأولى للتحاقه بالدراسة أي بالتحصيل العلمي الجاد والمنتظم والمتتابع والمترابط فيضع في اعتباره أن العملية التعليمية سلسلة مترابطة فكل مرحلة تؤسس لمرحلة لاحقة وكل مرحلة تعتمد على أخرى سابقة.. أي أن الطالب لايمكن أن ينتظم في مسار حياته التعليمية وبكل ثقة ما لم يؤسس لها منذ حفظت حروف الهجاء والأعداد الحسابية حتى آخر مرحلة تعليمية وبترابط وثيق، فهو لكي يستوعب مادة الرياضيات فتضحى مفهومة لديه لا بد وأن يحفظ «جدول الضرب» وكيفية القسمة ولكي يلم بمادة اللغة العربية لا بد أن يستوعب ماهية الفعل الماضي والمضارع والأمر وبدون قفز وهكذا في بقية المواد.. الصف الأول في المرحلة الابتدائية وحتى الثالث الثانوي.. فلا يتغيب عن درس ولا يتخلف عن حصة ولايهمل مسألة ولا يتساهل بقانون، واضعاً باعتباره أن أي درس يقوم على سابقه ويعتمد عليه فيحصل بذلك على كم معرفي تراكمي يمكنه من مواصلة دراسته بكل يسر وسهولة وبدون إخفاق الى أن يتجاوز المرحلة الانتقالية وما بعدها بتفوق، فلا يحتاج عندها الى الاعتماد على ظاهرة دخيلة هشة أو إلى «دهفة» من هذا وذاك.

–بيد أن ما هو حاصل وملموس ممن يتوكأون في مسار حياتهم الدراسية لايعتمدون على هذا الأمر المنطقي الآنف الذكر.. بل يقابلوه بكل تجاهل ولا مبالاة فلا يضعون أي اعتبار للترابط أو التلاحم في أي علم من العلوم أو مادة من المواد، فيبدأ بالتساهل في تحصيله العلمي منذ المراحل الدراسية الأولى.. فيتغيب عن الحضور الى المدرسة تارة ويتهرب عن حضور ذلك الدرس طوراً آخر.. ليحدث عنده وعند ذاك فجوة.. تتسع شيئاً فشيئاً فيصعب عليه تضييقها بل ويستحيل.. فإذا ما غاب عن درس من دروس الرياضيات مثلاً.. ولم يعد إليه.. وحضر الدرس الثاني فإنه وبالتأكيد سيواجه صعوبة في استيعاب الدرس الجديد.. فيتولد لديه في هذه الحالة «بداية العقدة» والتي تزداد شيئاً فشيئاً.. لينتج عنها في الأخير هروب ونفور من تلك المادة يصاحبه ويلازمه باستمرار فيجد نفسه وفي امتحانات المرحلة النهائية أنه أمام جبل شامخ يتعذر عليه تسلقه.. وهكذا في مادة الانجليزي وبقية المواد الأخرى..

ومثل هذا الطالب والذي يلج امتحانات الثانوية العامة وبدون أن يكون لديه أي أساس فيقف على امتحانات الرياضيات بدون معرفة، والسقوط ولا خلاف في ذلك على الإطلاق..

– أما الأمر الثاني من عوامل الفشل والاخفاق في نتائج امتحانات الثانوية العامة يأتي من عدم امتلاك بعض الطلاب لصرح معرفي تعليمي قوي ومتماسك جراء التسيب والاهمال والعزوف عن الالتحام بالمدرسة وبتتبع الدروس الواردة في سياق المنهج الدراسي وبتتابع وتلازم وثيق فإن فواعلهم لاتبدأ بالتوثب إلا في الصف الثالث الثانوي فيعمدون الى تعطيف أكمام أثوابهم استعداداً لخوض المعركة الفاصلة.. فيجدون أمامهم جرعة كبيرة من الدروس الواردة في المنهج فيستعصي عليهم استيعابها وإن بذلوا كل جهودهم وطاقاتهم المتاحة، إذ أن الجرعة أكبر من أن تبلع بسهولة، فيضحى النجاح أمامهم مرهوناً برحمته عز وجل.. وآخرون يحاولون عبثاً ابتلاعها فيصابون باختناق يسقطون من جرائه صرعى جزاء تسيبهم وإهمالهم وتقصيرهم والذي رافقهم ولازمهم في المراحل الدراسية الابتدائية والأساسية.. فيحصدون ما زرعوا وإن كانت شتلات العوسج..

– والأمر الثالث والمرتبط بالتسيب والاهمال من قبل الطالب في التواصل مع المدرسة والغياب عن الحصص التي تلقى عليه، فينتج عنها وبلا شك استفحال ظاهرة الغش كبديل يتم الاعتماد عليه من قبل الطالب ومنذ المراحل الأولى للدراسة.. فيرى بأنه وبدلاً من أن يظل مرتبطاً بالمدرسة ومتابعاً للمنهج الدراسي.. فإن اللجوء الى الغش أمر سهل وسيمكنه من الانتقال من صف الى آخر ومن مرحلة الى أخرى وبدون عناء، ويقابله في ذلك تساهل ولامبالاة من قبل الإدارة المدرسية فتستصغره ولا تلتفت إليه، ولا تبدي له إهتماماً إلا في نهاية المراحل الأساسية وبعد أن يكون قد استفحل واتسع وأضحى مطبوعاً في نفسية الطالب الذي اعتمد عليه منذ الطفولة وتمسك به كخيط نجاة والأداة المثلى لتخطي الحواجز الواحدة تلو الأخرى، فيجد نفسه فجأة وفي امتحانات الثانوية العامة.. أمام وضع صعب وخطير فيضحي «الخط» هو فرس الرهان الوحيد لديه.. فإما أن يحالفه الحظ فيحرك حدقات عينيه يمنة ويسرة فيوفق بالحصول على نسبة النجاح الـ٥٠٪ أو أن يخالفه الحظ فيتعذر عليه لطش جواب من هنا وآخر من هناك فيصاب بالاخفاق والفشل الذريع الذي لا نهوض بعده..

وإذا كان الأمر الثالث يتمثل بالتسيب وتفكك الحلقات واللجوء الى الغش فإن الأمر الرابع من عوامل الفشل والاخفاق والسقوط في امتحانات الثانوية العامة يعود الى القائمين على العملية التربوية والتعليمية.. ففي الوقت الذي يتطلب معه رفد الصفوف الأولى.. بمدرسين مؤهلين ومتمكنين يعوّل عليهم بناء قدرات الطالب منذ السنين الأولى.. نجدهم يزودون تلك الصفوف بمدرسين أقل تأهيلاً وأقل تمكناً فتنعكس سلباً على الطالب الذي نشأ نشأة ركيكة هزيلة لا تمكنه من الوقوف في ما بعد وغير واضعين إزاء ذلك بأن «أي شتلة وعند غرسها» فهي بحاجة الى رعاية واهتمام من حيث التربة والسقاية اليومية وحمايتها من القواضم الى أن تكبر ويقوى جذعها فتترك بعد ذلك لتعتمد على ذاتها وبدون أي خوف وهذا هو ما ينطبق على الوضع التربوي والتعليمي..

– الأمر الخامس فيتمثل بغياب التقييم الدوري والمستمر للأداء التربوي والتعليمي في مختلف المدارس وفي مختلف المراحل التعليمية.. يتطلب فيه قيام وزارة التربية والتعليم بتبني سياسة تقييمية مستمرة مبنية على البيانات والمعلومات وعلى الاستقراء والتحليل للوضع التربوي من أدناه الى أعلاه.. فتلتزم كل مدرسة ومنشأة تعليمية بالقيام بعملية تقييم دائم لنتائج امتحانات النقل في مختلف الصفوف في سياق أي مرحلة.. فتتعرف ومن خلال النتائج على مستوى أداء المدرس ونسبة تحصيل الطالب ولماذا يوجد تدني في الأداء أو التحصيل وماهي أسبابه وهل ترجع الى المدرس أو الطالب أو المنهج أو خلافه في مختلف المواد التي يجري تدريسها في إطار المرحلة الدراسية لتتمكن وفق ذلك من التعرف على مكامن الخلل وتضع الحلول والمعالجات لأي تدني أو قصور في حينه.

فتستفيد وفق ذلك من تلك النتائج بشكل دائم ومتواصل والتي ستسهم بمجملها في رفد العملية التربوية والتعليمية بأسباب القوة فتنعكس إيجاباً على مستوى الطالب وتمده بعوامل الثقة في تخطي المراحل التعليمية المتعاقبة بكل سهولة ويسر.

– الأمر السادس من عوامل الاخفاق والفشل الذي قد يلحق بالكثير من الطلاب ويرتبط بالقائمين على الوضع التربوي والتعليمي وبوجه أخص الإدارات المدرسية ويكمن في غياب المتابعة لعملية التسرب، من قبل البعض من حضور الحصص والانقطاع عن المدرسة وإعراضها عن ذلك وعدم إعطاء هذا الأمر الاهتمام المطلوب فتقف وقفة مسئولة وجادة أمامه، وتتعرف على أسباب هروب هذا الطالب من حضور الحصص «الرياضيات والانجليزي بالذات» وحيثيات انقطاعه عن المدرسة.. وما إذا كان ذلك الهروب ناجما عن أداء المدرس أو لمشاكل أسرية.. ليتم التواصل مع أولياء الأمور فيتم وضع الحلول والمعالجات اللازمة بموجبه.. وهو الأمر الذي جعل من عملية التسرب من المدارس صفة ملازمة لكثير من الطلاب ترافقهم في مختلف المراحل الدراسية.. فلاينتبهون لها ولا يشعرون بثقلها وبآثارها السلبية إلا عند مطالعتهم لكشوفات النتائج ليصابوا عندها بالحسرة والألم والانكسار وبعد أن تتناثر حبات السبحة ويتعذر عند ذلك جمعها أو تأليبها..

● وتأسيساً عليه وبناءً على ما أشرت اليه في ما يتعلق بعوامل الفشل والإخفاق في تخطي امتحانات الثانوية العامة.. فإن ذلك لا يتعلق ولا يرتبط بمن تم الإشارة إليهم في هذا الوقت على أوراق الامتحانات كونهم قد أضحوا على شفير الهاوية.. بل لأولئك الذين لازالوا بعيدين عنها.. فكان لزاماً عليهم تأديتها بعمق حتى لا يصلوا الى الوضع الذي وصل اليه من سبقهم إليه..

فيتسنى لهم إن أمكن حث الخطى والإمساك بآخر عربة للقطار وللقائمين على الوضع التربوي والتعليمي والذين يتحملون الجزء الأكبر من المسئولية باعتبارهم معنيون أصلاً بتقويم مسار العملية التعليمية والتربوية وتصويبها باستمرار..

وليدركوا أيضاً بأن هذه الامتحانات العامة التي تجرى حالياً ليست ملقاة على الطلاب وحدهم.. بل ويقفون هم أيضاً موقف امتحاني لأدائهم خلال المراحل التعليمية السابقة.. وبأن النتيجة لا بد وأن تلقى بآثارها عليهم سلباً وإيجاباً.

في جولة رايس:
تجميل القبيح وتسويق البائر..!!

قالت كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية التي أهلّت على منطقة الشرق الأوسط وهي تحمل الكثير من الأسئلة والنزر اليسير من الإجابات أنها ناقشت موضوع المستوطنات والجدار الفاصل مع رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون ووزير الخارجية سلفان شالوم ومع "كل من يريد أن يصغي".

وهذه إشارة إلى أن الفتات الذي تسعى أمريكا إلى تقديمه للفلسطينيين والعرب وتسمّنه كل يوم بالوعود المعسولة التي تشبه مواعيد عرقوب لا يجد آذاناً صاغية لدى قطاع مؤثر في القيادة الإسرائيلية، ولا يجد إجابات شافية لدى القطاع الآخر البارز في الصورة، وكلا القطاعين يضعان أرجلهما في مياه باردة منعشة، فأمريكا كفيلة بتمديد الزمن ودفع الضغوط وإعطاء المبررات وإطفاء الانتفاضات بما يرضي النزوع المزمن لابتلاع الأراضي وتقوية المستوطنات وسلب الحقوق الثابتة للفلسطينيين والعرب، ضمن مهزلة الحلول السلمية المعبأة بالبارود.

وما من جديد في الموقف سوى مجيء رايس بنفسها ومستشاريها وهي تعرف أنها لن تسمع في إسرائيل غير ما تسمعه وهي في مكتبها بواشنطن، فالخطوط موصولة والتفاهمات متصلة والقضايا مطروحة على "بلاطة" منذ أربعين عاماً تحت التجميد، وبذلك يمكن اعتبار الزيارة مجاملة خرقاء وذراً للرماد في العيون، لأن زيارة رايس للجانب الفلسطيني هي الزيارة حيث ترسم الخطوط الحمراء وتعلن المطالب الصعبة ويطلب من المقتول أن يقدر ظروف قاتله وان يستغفر له، ولم يعد أمام محمود عباس سوى أن يبكي إذا وجد ما تُبلّ به العيون، تعاطفاً مع شارون الذي يتحدث إلى الذين لا يريدون أن يصغوا، أما معاناة الشعب الفلسطيني ومقاتله اليومية فمسألة فيها نظر:

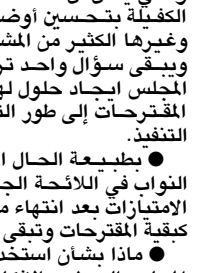

فضل النقيب

قتل امرئ في غابة.. جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن.. مسألة فيها نظر

رايس المخضرمة التي لا تنقصها الدراية ولا يعوزها الفهم ولا يخدعها النظر فتعميها الشجرة عن رؤية الغابة، تدرك مأزقها في داخل البيت الأمريكي، هناك حيث تطبخ السياسات العليا شراكة ما بين الكونجرس والرئاسة، ولا تملك هي ولا غيرها في الخارجية سوى تنفيذ المطلوب ولو احترقت أيديهم، وغاية المهارة تجميل القبيح، وتسويق البائر، ووضع ورق السلوفان المصقول اللامع للإيهام بنفاسة الهدايا التي تتكشف حين العلم لا يجدي الفتى عن نفايات للمغفلين الذين لا يحميهم القانون بعد أن يضعوا توقيعاتهم التي تبل بعد ذلك ويشربون ماءها على أنه الدواء الشافي للحمقى:

لكل داء دواء يستطَبّ به
إلاّ الحماقة أعيت من يداويها

وفي كلام رايس حول محادثاتها في إسرائيل لم تقل شيئاً يمكن حصاده أو البناء عليه أو حتى قراءته مقلوباً في مرآة، ولكن تعال فانظر الصهيل في عواصم العرب التي أكل عليها الدهر وشرب، فهناك تتحدث العيون الحمراء قبل الشفاه السمراء:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له
وتتقي صولة المستأسد الضاري .

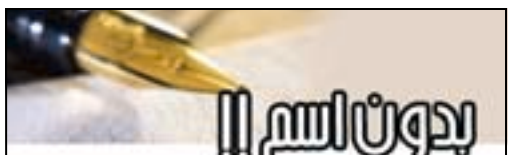

غدير الحسين

مع وقف التنفيذ..!!

حتى كتابة هذه السطور لم يخرج للنور مقترح واحد من جملة المقترحات المطروحة على طاولة مجلس النواب والتي يمكن أن تساعد الحكومة في ايجاد المعالجات الكفيلة بتحسين أوضاع المعيشة لذوي الدخل المحدود وغيرها الكثير من المشكلات المطروحة على نفس الطاولة، ويبقى سؤال واحد ترى هل نتوقع من الاخوة أعضاء المجلس ايجاد حلول لهذه المشكلات، وهل ستخرج هذه المقترحات إلى طور التنفيذ أم أنها مقترحات مع وقف التنفيذ.

● بطبيعة الحال المقترحات الخاصة التي ضمنها النواب في اللائحة الجديدة تمنحهم درجة وزير مع كافة الامتيازات بعد انتهاء مدة عضويتهم في المجلس لن تعامل كبقية المقترحات وتبقى مجرد مقترحات مع وقف التنفيذ.

● ماذا بشأن استخدام القروض، ترى هل يتجه اعضاء المجلس إلى طرح الافكار التي تسهم في حسن استخدام القروض، وما لم يقوموا بذلك فليس أقل من أن يعمدوا إلى محاولة الحد من تراكم ديون جديدة، فطالما أن سياسة تجميد الأموال في براد البنك المركزي مازالت قائمة فسيظل البنك المركزي بنكاً ولكن..!! مع وقف التنفيذ.

● كثير ما نرى ونسمع أن يقوم بعض المحافظين أو المسؤولين بوضع حجر الأساس للمشروع الفلاني إلا أنه وبمجرد وضع حجر الأساس تغيب المتابعة، وتذهب ادارة وتجيء اخرى، وما زال المشروع كما هو «محلك سر» ويبقى حجر الأساس ثابتاً ينتظر ادارة جديدة، ومسؤولاً جديداً، ويبقى المشروع مشروعاً ولكن..!! مع وقف التنفيذ.

● مشروع أمانة العاصمة لاعادة بناء الحدائق وتخصيص مساحات لبناء حدائق جديدة ربما قد يدرج ضمن قائمة مشاريع مع وقف التنفيذ ونأمل ألا يكون ذلك!!

● أما المشروع الصيفي الخاص بوزارة التربية والتعليم بفتح مراكز صيفية فسيبقى المشروع عقيما طالما لم يعمد إلى بناء آلية جديدة لاستثمار شهور الصيف جيداً من قبل مدراء المدارس والكادر التعليمي بالكامل، فما جدوى فصول التقوية مالم يعمد أولاً إلى ادخال الكادر التعليمي فصولاً لتقويته وتلقينهم أصول التدريس الحديثة وكيفية التعامل مع التلاميذ واستحداث وسائل جديدة لإيصال المعارف إلى التلاميذ، أما إذا كانت المراكز الصيفية ستنهج نفس نهج العام المنصرم فالأفضل أن تغلق ابوابها وتبقى مراكز صيفية مع وقف التنفيذ.

● مازال مقص الرقيب يتهدد مقالاتي، المشكلة أن مقص الرقيب يكيل بمكيالين، فبينما أجده يقتص جزءاً لا بأس به من مقالي أو يعمد إلى بتر بعض الكلمات وتغيير اخرى ما يجعل من المقال في بعض الأحيان مسخاً كتابياً مشوه المعالم في بعض سطوره، أجده يتعامل مع مقالات البعض بمنتهى الرحمة، فأجد نفسي حائرة بين كتابة ما يدور على الساحة وبين الخوف على مقالي من مقص الرقيب، لدرجة أني بت أرى شبح المقص في احلامي، ومع هذا أجد اني سأستمر رغم مقص الرقيب الذي سأدعو عليه بيني وبين نفسي، وتبقى مساحة حرية الكلمة موجودة على صفحات الثورة ولكن نرجو أن لا تكون مع وقف التنفيذ..

Kadeer_Alhoseen@yahoo.com

محمد العريقي

فوضى.. أم زحام؟

● ماذا نطلق على ما نشاهده في الشوارع الرئيسية والفرعية والحارات والميادين العامة من مظاهر سير مربكة ومزعجة ومثيرة للأعصاب!

● هل نعيد أسباب تلك المشاهد بأنها نتاج زحمة مرورية أم فوضى مرورية؟

● الذين زاروا مدناً عربية وأجنبية يستطيعون أن يردوا على مثل هذا التساؤل.. وأعتقد أنهم سوف يقولون أن للظاهرة أبعاداً فوضوية وعشوائية.. أكثر منها زحمة مرورية.

● فهناك مدناً كبيرة أكثر بشراً، وبالتالي أكثر عدداً بالمركبات ومختلف وسائل النقل، فتكتظ بها الشوارع إلى درجة أن الشخص الذي يسير على قدميه يصعب عليه أن يجد له موطئ قدم ليكمل مشواره بيسر وسهولة، ومع ذلك فحركة السيارات تتم بمرونة وسهولة، فكل سائق يحاسب لما هو أمامه فقط.. لا يتوقع أبداً أن هناك من سيعترضه أو من سيهدئ السرعة أمامه للاستمتاع بشريط نانسي عجرم ولا لمن سيتوقف فجأة لتبادل النكات الساذجة مع زميله الذي يقف بمحاذاته.

● صحيح أن المدن الرئيسية مثل القاهرة لا يستطيع الإنسان أن ينجز فيها أكثر من مشوار واحد بسبب الزحمة بصورة أساسية ورئيسية، رغم الكباري والأنفاق والشوارع الفسيحة، فمبرر الزحمة مقبول في مدينة يسكنها أكثر من ١٥ مليون نسمة.

● لكن في مدينة مثل صنعاء، فإن الفوضى استأسدت على حركة السير، وأنتجت معها ما نشاهده من زحمة، فتحالفتا بعد ذلك كل من الفوضى والزحام ليشكلان معاً كابوساً مرعباً في صدر ورأس من هو مجبر على أن يقود سيارته في شوارع تتحكم فيها أمزجة غريبة تفتقر لأبسط قواعد الذوق العام.

● ويأتي تخطيط مدننا الذي أعد خلال فترة الستينات والسبعينات وكذا الثمانينات بأفق ضيقة ليسهم في تعقيد المشكلة.

● فكأنت رؤية المخطط قدرة خيالية لا تتعدى شارعاً من خطين بعرض ٤٠ متراً في أحسن الأحوال حتى جاء خط الستين الدائري وبعض الشوارع الحديثة لامتصاص الزحمة التي تتزايد عاماً بعد عام بسبب زيادة السكان، وارتفاع استيراد السيارات.

● ورغم كل ما حدث من توسع وإضافة شوارع جديدة فإنه لا أمل في حل مشاكل ومتاعب وإرهاق السير.. طالما بقيت الفوضى سيدة الشارع والمتحكمة بمصيره!!.

alariky@maktoob.com

الدم " قيمة الإنسان " !!

خالد الصعفاني

■ احتفلنا مع باقي عباد الله باليوم العالمي للتبرع بالدم.. ومع أن واقع الحال أكد أن دمنا العربي والمسلم ارخص من غيره بكثير فلا بأس أن نحتفل بهذا اليوم(الرابع عشر من يونيو) مثل غيرنا وأن نشجع على التبرع بالدم فهو أرقى أنواع المساعدة وأصدق مواقف الصدق والمعونة..

طبعاً أصبحت القاعدة اليوم حول الدم أنه كلما ازدادت أهميته وتأثيره أزداد معها الدم قيمة بل أن عالم اليوم اصبح يقدس أهمية الكائن الحي بمدى أهميته وتأثيره أو أهمية أسرته أو مجتمعه أو بلده،بدليل أن دم العربي غير دم الغربي، بل فاقت قيمة حياة بعض الكائنات الحية غير العاقلة في دول معينة قيمة هذا الشخص في ذاك البلد النامي ومع أيماننا- بنى البشر- بأن الدم هو أغلى سائل على وجه البسيطة- وكون هذا هو ما قرره ديننا والشرائع السماوية الحقة قبل ذلك,إلا أن الدم دون الأهمية والتأثير اللذين أشرنا إليهما سلفاً أصبح ارخص من مشروبات الطاقة وقنان الماريجوانا،فضلاً عن رخصه أمام الذهب الأسود(النفط) ،إذا فالدم الذي يجري في عروق بني أدم اليوم ليست تسعيرته واحدة في حقيقة الأمر، وإن بدأ كل هؤلاء أمام مواد الدساتير وفقرات القوانين والمواثيق الدولية.

ولعلم المتبرعين بدمائهم لأي دواع اطمأنوا، فعملية التبرع هذه تفيد صاحبها لأنها عملية التجديد الدم الذي يجري في العروق وبالقدر الذي نحفزه فيه الجميع على الاقدام على هذا الموقف فإننا نذكر أن التبرع بالدم لن يجري بدم فاسد أو ملوث،وأيضاً لن يجدي لو لم يعط للمحتاج في الوقت والطريقة المناسبين،تماماً مثلما انه لن يجدي نفعاً لو لقي الإهمال في الفترة التي يغادر فيها جسم صاحبه ليسبح في جسم المحتاج إليه".

ومسألة أخرى أود التأشير إليها بمناسبة الحديث عن الدم والتبرع به،فإنه مع مشاهد القتل في العراق أو فلسطين أو حتى المشاكل والأضرار الصحية المترتبة على آلاف حوادث السير أو العنف الناتجة عن سوء اختيار لوسيلة التفاهم أو التقاضي أو حتى تلك الحوادث التي تجلب العجب والضحك،كلها تستلزم التأكيد على أهمية التبرع بالدم والتذكير بأنه من افضل صور التعاون والتساند في المجتمع حيث المطلوب الالتقاء على كل بر وكل تقوى..

أخيراً

الدم غال والدم تأتي حرمته من غلاوته ،ومهما بدت لنا صور لدم يراق ببرود،فسيظل جسر الحياة بين الروح والجسد وسيظل الأغلى حتى لو ارتفع سعر البترول وحتى لو فرضت أعراف القوة هذه الأيام على الناس تصنيفات متفاوتة لأنواع الدم وقيمة الإنسان.

الثـــوار مـــرّوا من هنا

عبده جحيش

الحديث عن الثورة اليمنية الكبرى سبتمبر واكتوبر أمر لا يجب أن يغيب عن ذاكرة الأجيال اليمنية المتواصلة لتبقى صلة الربط في حوار الأجيال قائمة كون هذا الحوار يعزز الولاء الوطني ويدعم الوحدة المباركة التي أعيد تحقيقها يوم الـ ٢٢ من مايو عام ١٩٩٠م كمحصلة لسفر من النضال الوطني والتضحيات الغالية لكل أبناء الشعب اليمني بقيادة طلائعه الوطنية .. تلك الثورة التي هز قيامها (صمت الجزيرة العربية وكانت لفترة غير قصيرة حديث العالم وموضوع نزاع ونقاش حاد بين الشرق والغرب).

حديثنا اليوم يأتي من الشارع الذي ارتبط قدره بالثورة من اليوم الأول الذي اختار فيه الطاغية أحمد حميد الدين أن يجعل مدينته عاصمة لحكمه بدلاً من العاصمة الأم (صنعاء) التي عاث فيها الإمام وجيشه نهبا وفساداً على إثر انهيار حركة ١٩٤٨م، نعم على خلفية ذلك العمل الهمجي لصنعاء فر هارباً ليبحث له عن عاصمة أخرى ووقع اختياره على الحالة تعز ولم يكن يدري ذلك الطاغية انه كان كالمستجير من النار بالرمضاء. .. واليكم حكاية شارع الثوار مروا من هنا.

الشارع هو شارع ٢٦ سبتمبر/ المدينة تعز .. أما كاتب السطور فهو يقف الآن في بداية الشارع نقطة تقع شمال غرب مدينة تعز هذه النقطة تسمى «باب موسى» باب موسى هذا باب تاريخي هو أحد الأبواب الـ ٨ التي يجمعها السور الذي كان يحمي مدينه تعز القديمة التي تسمى (عدينة) ، باب موسى تم بناؤه مع بناء السور وهو عبارة عن منفذ صغير حتى ولاية محمد باشا عام ٩٦٨- ٩٧٢ هجرية الذي أمر بتوسعته الى ما هو عليه اليوم، وشيدت في أعلى الباب نوبات حراسة، الداخل من شارع باب موسى يجد أمامه شارع الجمهورية أما إذا انحرف جهة اليمين فيجد شارعاً لو سلكه لأوصله الى أهم مناطق تعز التاريخية (المظفر/الاشرفية/المعتبية/ عبدالهادي ... الخ) والآن ندخل الى شارع الجمهورية ونترك شارع ٢٦ سبتمبر حتى نلتقي معكم فيه مرة أخرى من الباب الكبير.. إن دخولنا في شارع الجمهورية له ما يبرره في هذا الشارع مكان ذو دلالة ومحطة هامة من محطات النضال اليمني حيث كان يوجد في هذا الشارع وعلى بعد ٢٥٠ متراً من باب موسى موقع متقدم لخلايا الضباط الأحرار، هذا الموقع كان في الظاهر (متجراً) في هذا المتجر وبالتحديد في شهر ديسمبر عام ١٩٦٠م تعارف قائد تنظيم الثورة (علي عبد المغني) وسعد علي الأشول وعبدالله عبدالسلام صبرة وتعرف تجمع التجار الوطنيين وعلى رأسهم عبدالغني مطهر/ عبدالقوي حاميم/ علي محمد سعيد أنعم وأحمد ناجي العديني وغيرهم وكان همزة الوصل بين التنظيم وتجمع التجار الوطنيين الأخوان محمد قائد سيف والطيار عبدالرحيم عبدالله الذي كانت له علاقة مصاهرة مع عبدالله جزيلان في كتاب «أسرار الثورة اليمنية».

يصف أعضاء التنظيم المناضل الاستاذ/ عبد الغني مطهر بالقول: (للحقيقة والتاريخ فإن عبدالغني مطهر كان أكثرهم حماساً واندفاعاً وجرأة في العمل الوطني بالرغم من أنه كان من أكثر تجار تعز ثراءً واستقراراً وكان أكثر عناصر التجمع الوطني حماساً في كسب ثقة الضباط والتعامل معهم، لقد أدرك تنظيم الضباط الأحرار أهمية حشد كل التجمعات الوطنية المتواجدة في تعز والتي كانت بحق أكثر التجمعات المدنية والقبلية والسياسية نشاطاً وفعالية في تحقيق الهدف الكبير الذي تكون من أجله تنظيم الضباط الأحرار.

في بداية عام ١٩٦٢م دخل تنظيم الضباط أهم مراحله جدية وخطورة وبدأ يركز اهتمامه على العاصمة تعز باعتبارها مركز تجمع عناصر النظام والسلطة، وبدأ مركز التنظيم في صنعاء بدعم التنظيم في تعز بالذخائر الخفيفة والمتوسطة مغلفة في كراتين مكتوب عليها هدية للسيد النائب الجليل حمود الوشلي بواسطة سعيد الجناحي الذي كان يعمل في الخطوط الجوية لتسلم في هذا المتجر ظاهراً «الخلية حقيقة» ليقوم المناضل عبدالغني مطهر بتسليمها لفرع التنظيم، وفي هذا المتجر أيضاً وعلى مدى ثمانية عشر شهراً هي الفترة الواقعة بين تنفيذ حكم الشعب اليمني في الطاغية أحمد حميد الدين، حكم الشعب فيه رمياً بالرصاص من قبل الشهيد البطل محمد عبدالله العلفي وزملائه في مدينة الحديدة وموته في ١٩ سبتمبر عام ١٩٦٢م، كان المترجم الوالد على جحيش (المترجم الخاص للأطباء الايطاليين الذين كانوا يعالجون الطاغية) يوافي عبدالغني مطهر بحالة الإمام الصحية أولاً بأول ليتم إيصالها للتنظيم العسكري.

نواصل مسيرنا في شارع الجمهورية حتى نصل الى الباب الكبير لمدينة تعز الذي بدوره يوصلنا الى شارع الثوار شارع ٢٦ سبتمبر مرة أخرى .. ولكن ماذا يقول التاريخ عن الباب الكبير لمدينة تعز؟

يعتبر المدخل الرئيسي لمدينة تعز القديمة ويقع في الجهة الشرقية للسور القديم الذي كان يرتفع حوالي ٤ أمتار تحيط به أبراج الحراسة وقد جدد هذا السور بدخول الإمام المطهر شرف الدين تعز عام ٩٤١هـ واستمر العمل فيه سبع سنوات، وكان لهذا السور بوابتان رئيسيتان وعدة منافذ صغيرة أما البابان فهما الباب الكبير وباب المداجر وأما المنافذ الصغيرة فهي باب موسى وباب النصر وباب الوحدة.

والآن نترك مدينة تعز القديمة وسورها وأبوابها ونواصل المسير في شارع الثورة ماذا نجد: على بعد ٣٠٠ متر من الباب وعلى يمين الشارع قال لي مرافقي: هنا كان استديو (أحمد عمر) مؤسس فن التصوير الفوتوغرافي في كل من صنعاء وتعز، عندها توقف بي الزمن لاستعيد شريط التاريخ بالصورة خلال الفترة من ٦٢-١٩٧٠م يومها كان ينظم في تعز مهرجان رياضي سنوي بمناسبة عيدالثورة كان يقوم بتشكيله رائد التربية البدنية الأول الاستاذ/ المرحوم محمد حيدر يعاونه زميله الاستاذ محمد سيف رحمهما الله تعالى، وكان الطلبة ثاني أيام الحفل يذهبون استديو أحمد عمر واستديو جاود نوري اللذين كانا يصوران الطلاب ويتم شراء الصور منهما في استديو أحمد عمر، كان الطلاب يدهشون من الصور المعلقة لمناضلي الثورة اليمنية شمالاً وجنوباً (السلال/ الارياني/ قحطان الشعبي/ حسن العمري/ لبوزه/ عبدالفتاح اسماعيل .. الخ) في الدور الأعلى من الاستديو كان يتواجد قادة حركة القوميين العرب عبدالرحمن محمد سعيد/ يحيى عبدالرحمن الارياني/ سلطان أحمد عمر/ عبدالقادر سعيد/ عبدالله باذيب / فيصل الشعبي/.. الخ.

والآن نترك استديو أحمد عمر الذي أرخ للثورة بالصورة لنجد على بعد خمسين متراً منه أهم مدرستين عرفتهما مدينة تعز المدرسة الأولى على يمين المتجه شرقاً هي مدرسة ناصر وكانت قبل الثورة مقراً لمشروع التنمية الامريكية «النقطه الرابعة» وهذا المرفق لم يكن له دور قبل الثورة ولكن ماذا عن المدرسة الأخرى التي تعرف بمدرسة الثورة اليوم؟ هذه المدرسة أقيمت على أنقاض معلم تاريخي كان المفروض أن يظل كذلك وهو ما كان يعرف بالمدرسة الأحمدية التي شهدت في شهر يونيو عام ١٩٦٢م اندلاع المظاهرة الطلابية التي تحولت في اسبوعها الثاني الى اعتصام وكانت استجابة لنداء زملائهم في صنعاء، ويومها شعر النظام الملكي المتهاوي بالخطر ففرض على الطلاب داخل المدرسة حصاراً كاملاً ومنع عنهم الغذاء (كدم وبطاط) وقطع الماء والكهرباء وعلى مدار ١٥ يوماً فماذا حدث ؟ يومها استشعر فرع تنظيم الضباط الأحرار مسئوليته واقنع أفراد الأمن المحاصرين للطلاب بالسماح لإدخال الغذاء والماء للطلاب المحاصرين، أما المواطنون والتجار من أبناء تعز فقد تداعوا وشكلوا لجنة منهم لجمع المال وشراء كل ما يحتاجه الطلاب من غذاء وماء وشمع، بل كانوا يقدموا الرشوة للحراسة الجديدة من العكفه التي حلت بدل الأمن ومن هؤلاء التجار الوطنيين نذكر عبدالغني مطهر وآل مطهر/شائف عبدالله مقبل/عبده محمد الذهب/الشيخ قاسم بجاش/علي صالح حراب/محمد سيف الضيفي/ علي محمد سعيد/أحمد عبدالله مقبل/أحمد الغنامي/محمد ردمان الشيباني/وغيرهم كثير لا أذكرهم .. تصوروا هذا الحدث الطلابي المدعوم من القوى الوطنية كان بشيراً لثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م فبينه وبينها ثلاثة أشهر فقط وإذا ما واصلنا السير في شارع الثورة سنجد انه قد احتضن محيطاً واسعاً من الاتجاهات السياسية / بقية التيار الدستوري والاتحاد اليمني القومي بتياراته المختلفة / البعث بشقيه / اليسار بتياراته المتعددة/ لقد كان (كوكتيل) من خبر الفكر السياسي اليومي في شارع سبتمبر تعز، كنت تجد رموز الفصائل المسلحة القومي والتحريري، انه حقاً شارع الثورة اليمنية.

حكايات يومية مع باصات النقل العام

محمد عبده مهدي

حكايتنا مع باصات النقل العام حكايات لا تنتهي ومواقفها لا تنسى تفرضها علينا زحمة المواصلات وسباق المواعيد،خاصة مواعيد التوقيع على حوافظ الدوام.. وتأتي البداية من لحظة الوقوف على المحطة،تخيلوا معي جولة مثل جولة الصياح في الساعة١٢ ظهراً والجميع يعرف شمس هذه الأيام...

نصف ساعة تقف في المحطة في انتظار الباص... الكل منتظر وصوله،وبعد طول عناء وتعب يصل الباص،يشاهدنا السائق ولا يقف رغم أن الباص فاض،ولكنه يريد أن يلحق بطلاب الجامعة،تنهال عليه الشتائم واللعنات ولا يهتم ويستمر في انطلاقه.

نضطر للانتظار مرة أخرى حتى يأتي باص آخر،ولا أحتاج لشرح مدى غليان الدم والأعصاب مع حرارة الشمس.

يصل الباص الآخر،مزدحماً جداً بالركاب ولكن سائقه شهم،نتهافت عليه عندما يقف،يحاول كل منا أن يبحث عن موضع قدم على السلم،وتفضل تزاحم لحد ما تبعد عن فتحة الباب قليلاً كي لا تسقط خارج الباص..

تصبح في عنق الزجاجة ولكنك مضطر ومستعجل ولابد من أن ترحم نفسك من حرارة الشمس وتتمنى ألا يقف الباص في أي محطة أخرى،فالباص لا يتحمل وتنسى ما حدث قبل قليل من غليان الدم عندما لم يقف سائق الباص الأول من شدة الغيظ.

ويأتي المحاسب يزاحم،يدهس رجل هذا ويدق هذا بيده،ويصيح على ذاك وعذره أنه محاسب الباص.

وأجمل ورطه حينما تعطي له ورقة مالية فئة المائة أو ما فوقها ولا يجد فكه.

تنتظر في قلق لا تدري متى يعطي لك المبلغ المتبقي عنده خصوصاً لو كنت قريباً من محطة نزولك والمحاسب عادي عنده يمتر الباص رايح جاي بدون أن يكلمك،رغم حصوله على فكه إلا أنه مطنش.

ولا يتذكر إلا إذا ذكرته،وإذا ذكرته يرد بشكل صياح يؤكد بأنه مش هارب.

وإذا سلمك باقي المبلغ لابد من خصم اقلها خمسة ريالات لعدم وجود الخمسات.

يتوقف الباص في إحدى المحطات مما يجعل جميع الركاب في زعيق وصياح وتعليقات بسبب عدم وجود موضع قدم واحد يستطيع أن يقف فيه راكب واحد.

يسير السائق وهو في غيظ شديد من هؤلاء الركاب،ولكن فرحة الركاب لا تتم فهاهي إشارات المرور،لقد بدأنا في دخول أول الجولات جولة سبأ،وما أدراك ما جولة سبأ عند الظهر.

الجولات لها قصص أخرى من أول وصول موكب رئاسي حتى سيارة الإسعاف.

تأخذ لها من الوقت عشر دقائق إذا ربنا يسر حركة المرور.

وفي أثناء هذه الوقفة احرص على أشيائك خصوصاً جوالك،فهذه الأيام سرقة أجهزة السيار أشهر من نار على علم،إذا يجب أن تقف مستيقظا تماماً ولا تسترخي من طول الوقفة وإلا ضاعت أشياؤك.

أنا شخصياً رأيت اكثر من حالة حوادث سرقة أجهزة سيار منها في المطاعم ومنها في الباصات.

وللسرقة في الباص مجموعة،منها في السلم،ومنها في الوسط،ومنها في الأخير،وتأتي مشاكل الاختلاف على فتح النوافذ،ومشاكل التدخين،ومشاكل التحرش بالفتيات،ومشاكل المضاربة والمعارك على اختلاف الأسباب لتجعل منك رجلاً يجب أن تعتمد على نفسك وذلك بالنزول من الباص وإكمال مشوارك سيراً على الأقدام من جولة الصياح إلى منزلك حتى وإن كان في السنينه.

على الهامش

أجمل فائدة من باصات النقل العام هي حمى السباق الصباحي بين سائقي الباصات.. فمن خلالها أستطيع اللحاق بحافظة الدوام والتوقيع حتى لو صحيت من النوم متأخراً.